

## أثر الشائعات السياسية في تاريخ السودان المعاصر

\*د/جلال الدين الشيخ زياد

### مستخلص البحث

هذا البحث المعنون : العوامل المؤثرة في تولد وانتشار الشائعات وأثرها في تاريخ السودان المعاصر، يقوم على المنهج الوصفي التاريخي ويركز على تناول الآثار الخطيرة والمأساوية للشائعات في تاريخ السودان الحديث بعد الاستقلال. حيث عرفت الشائعة بكونها قصة خبرية ملفقة تحاول تضليل الناس حول قضايا بعينها ، ويقف خلفها مصدر يطلقها لتحقيق أهدافاً معينة من خلال بتر المعلومات أو زيادتها بحيث تضيع الحقيقة وسط أجواء الخداع والأكاذيب وبالفعل قد نجحت الكثير من الشائعات في تحقيق أهدافها المدمرة في تاريخ العالم المعاصر وتاريخ السودان بوجه خاص..

### **ABSTRACT**

This research titled the effective factors in propagating rumours and the effect of political rumours in the modern history of Sudan is a descriptive study concentrated on the miserable and dangerous effect of rumours in Sudan after its independence.

Rumour is defined as a distorted tale or story which tries to mislead people about certain issues. The rumour has a source and the source has certain interests and goals to fulfill in the rumours. Some information is cut out and some are added to such a degree, that the reality is lost among the wave of lies and deceptions. The parties of rumour attempt to lead people to believe in certain things, which are far from reality. But rumours sometimes succeed in achieving the aims of their planners.

## مقدمة البحث :

تتناول هذه الدراسة العوامل المؤثرة في تولد الشائعات وانتشارها في المجتمعات وما تلحقه من نتائج ضارة على المجتمع كونها معلومات مغلوطة تحدث التضليل بدلاً من الإعلام - وتستخدم كأداة في الحرب النفسية تحقيقاً لأهدافها السياسية والاقتصادية والعسكرية.

وفي ذات الوقت يشكل الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي المازوم المناخ الملائم لتولد وانتشار الشائعات .

هذه الدراسة تتخذ من تاريخ السودان المعاصر أنموذجاً يكشف عن النتائج المدمرة للشائعات في تاريخ هذا البلد الذي عانى من الحروب الأهلية الطويلة لاسيما في جنوب البلاد، حيث كانت شرارة التمرد في عام ١٩٥٥م بسبب الشائعات والمعلومات المتضاربة والتي نجحت في إشعال فتيل الحرب بعد عمل طويل مارسسته الإدارة الاستعمارية البريطانية في الجنوب بزرع عدم الثقة والشكوك بين أبناء الشعب الواحد، وهي ذات العوامل التي هيأت الأجواء للشائعات لتحدث نتائجها المدمرة في أحداث الأحد الأسود عام ١٩٦٤م وأحداث مقتل قرنق في أغسطس ٢٠٠٥م وغيرها من الشائعات المدمرة. حيث لم يعان بلد من الشائعات مثل ما عانى السودان في تاريخه المعاصر، ف وراء كل شائعة أزهقت أرواح بريئة واشتعلت حرائق ودمرت ممتلكات .

ارتكز هذا البحث على المنهج التاريخي القائم على التحليل الكيفي للوثائق لاسيما فيما يتعلق برصد وتجميع وتحليل الشائعات السياسية التي نتجت عنها أحداث عنف. ومع ندرة المصادر المكتوبة في هذا النوع من الدراسات اعتمد الباحث على الوثائق والتقارير والمذكرات وفق سياق تاريخي يقوم على تتبع تاريخ السودان المعاصر منذ عام ١٩٥٤م إلى يومنا هذا وذلك بهدف رصد أثر الشائعات السياسية في حياة البلاد الاقتصادية والاجتماعية والأمنية.

شملت الدراسة على مقدمة تأسيسية حول تعريف الشائعة وتصنيفاتها وعوامل تولدها وانتشارها وأساليب مكافحتها مع الإشارة إلى دورها الخطير في تاريخ الإسلام والمكانة الكبيرة التي أولاها القرآن الكريم للشائعة والتحذير من مخاطرها.

ثم تطرقت الدراسة معتمدة على منهج الدراسات التتبعية التاريخية في وصف وتحليل أهم الشائعات التي كان لها الأثر السياسي والاجتماعي في تاريخ السودان المعاصر.

وتبقى أصالة وريادة هذا النوع من الدراسات التي تتمثل في فتح آفاق الباحثين الاتصاليين في السودان نحو المزيد من البحث عن تاريخ الدعاية والحرب النفسية وأثرهما البالغ على الرأي العام السوداني المعاصر.

### العوامل المؤثرة في تولد الشائعات وأساليب مكافحتها

#### في المجتمع السوداني

#### تعريف الشائعة:

برزت عدة تعريفات للشائعة كقصة خبرية مختلقة أو محرفة أو مأولة مع التركيز على الطابع الشفهي. فهي نبأ أو حدث مجرد من أية قيمة يقينية، ينتقل من شخص لآخر بهدف زعزعة الرأي العام وتجميده، وهي أيضاً تكون من الأساليب التي تستخدمها الدعاية والحرب النفسية، فهي إذا عبارة عن أقوال وأخبار يختلقها البعض لأهداف سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية ويتناقلها الناس بحسن نية في أغلب الأحيان.

يعرفها ((ميشال روكيت)) Michel Rokett في كتابه ((الشائعات)) بأنها ((صورة من صور التواصل)) تستخدم القناة غير النظامية ((من الفم إلى الأذن)) - فالوسيلة هي الفم والأذن في تواصل شفوي بين شخصين، وهي تقدم مضموناً إعلامياً عن فرد أو حدث وتعبّر عن حاجات الأفراد الانفعالية وتلبيها في الوقت نفسه))<sup>١</sup>. ويعرفها ((البورت وبوتسمان)) Aliport & Potsman بأنها اصطلاح يطلق على موضوع ما ذي أهمية ، وينتقل من شخص لآخر، عن طريق الكلمة الشفهية دون أن يتطلب ذلك الدليل والبرهان))<sup>٢</sup>.

يلاحظ على هذه التعريفات أنها ركزت على الطابع الشفهي القائم على الاتصال الشخصي بين الأفراد دون الإشارة إلى الشائعات المنقولة عبر وسائل

الاتصال الجماهيري، كعمود الشائعة في الصحافة ((قالت العصفورة)) و((خفايا))... الخ. والشائعات المنقولة عبر الإذاعات الموجهة والسرية في الحرب العالمية الثانية وأخيراً القصص الخبرية المنقولة عبر الصور الممنجة في التلفزيون. لذلك ظهر تعريف للشائعة في مطلع التسعينات من القرن الماضي - يراعي التطور في تكنولوجيا الاتصال ودورها في انتشار الشائعات يقول: ((إن الشائعة هي قدر محدود من المعلومات التي تهم مجموعة من الناس، وهي تشبه الأخبار ، غير أنه لا يمكن التثبت من دقتها، وقد تتضمن بعض الحقائق، وقد تنتشر بالكلمة المنطوقة أو الفاكس أو البريد الإلكتروني أو الموبايل، وغالباً ما يتم تقديمها للآخرين بعبارة ((لقد سمعت)) ٣، وينطبق هذا التعريف على شائعة مقتل فاولينو ماتيب في السودان وغيرها من الشائعات الحديثة.

#### الشائعات والخبر:

بصرف النظر عن وسيلة انتشار الشائعة، فهي قصة خبرية ناقصة تأخذ ثلاثة

أشكال ٤:

١- إختلاق خبر لا أساس له من الصحة.

٢- تلفيق خبر له أساس من الصحة.

٣- المبالغة في تأويل خبر ينطوي على بعض عناصر الصحة.

إذا الحدث يولد الخبر، ولولا وجود الحدث لما وجد الخبر، فالخبر يعطي الحدث بعداً يتجاوز حدود معطيات حدوثه الجغرافية والسياسية والاجتماعية. والخبر يفتح الطريق أمام الحدث ليأخذ طريقه إلى الوعي الجماعي عبر وسائل الإعلام ومنها إلى الذاكرة الجماعية. وهناك عدة عوامل محيطة بالخبر:

١- عوامل مادية مثل شهود العيان والصور الفوتوغرافية أو تسجيل الفيديو بما يؤكد صحة الخبر .

٢- عوامل فكرية: وهي التي تسبق وقوع الحدث وتكون احتمالاً لحدوثه مثل الإعلان المسبق عن قدوم شخصية مهمة أو الحديث عن إمكانية اندلاع

حرب. إن كل ما يصدر قبل الحدث من تغطية يدخل في إطار هذه العوامل المحيطة التي تشكلها المعلومات المسبقة والتي تعد أخباراً لأحداث أخرى. وبمجرد خروج الحدث إلى وسائل الإعلام يخرج من عالم الواقع ويخضع للتفسير والتحليل ، وفي كل الأحوال أن لكل خبر مصدر يرويهِ حتى الأخبار المختلفة وهي أخطر أنواع الشائعات.

ويحدد Knap ناب ثلاث خصائص عامة للشائعات (٥):

- ١- هي صورة من صور التواصل ، تستخدم القناة غير النظامية (من الفم إلى الأذن) وهي وسيط يتعارض على وجه الخصوص مع النص المكتوب.
- ٢- تقدم محتوى إعلامي عن فرد أو حدث.
- ٣- تعبر عن حاجات الأفراد الانفعالية وتلبّيها في الوقت نفسه.

وبوجه عام تعتبر الشائعات من أهم الأسلحة في أوقات الحروب بصفة خاصة لأنها تثير عواطف الجماهير وتعمل على بلبلة الأفكار ولها دور مهم في الدعاية السوداء.. أما إذا استخدمت الشائعات بعيداً عن الميدان الحربي فتسمى الهمس Whispering . وإذا استخدمت الشائعات بغير قصد حربي أو سياسي ، تسمى ثرثرة Gossip.

ويعرف الباحث الشائعة في ضوء تطور وسائط الاتصال الحديثة " بأنها كل خبر مختلق أو محرف أو مأول ينتشر بواسطة التواصل الشفهي أو المكتوب أو المسموع أو المرئي المسموع " ذلك لأن أغلب الشائعات المعاصرة انتشرت عن طريق الهاتف والبرقيات والبريد ومواقع الدردشة في الانترنت بل استخدمت فيها وسائط الاتصال الجماهيري كالأعمدة في الصحف والصور المزورة في الفضائيات، لذلك لم تعد الشائعة مقتصرة على التواصل الشفهي إلا في المجتمعات المتخلفة.

ويمكن أن تتضمن الشائعات بعض القصص أو النكت، وهي كثيراً ما تتغير وتتبدل أثناء تداولها، فقد يطلق رجل الدعاية ، شائعة من الشائعات، فتصل إليه محرفة بعد وقت معين.(٦)

## العوامل النفسية والاجتماعية:

ويمكن تلخيص العوامل النفسية والاجتماعية المولدة للشائعات في الآتي: (٧)

١- بالنسبة للأفراد فإن للشائعة بعض الوظائف النفسية كالتهنيس، فهي تتيح للفرد أن يفصح عما يكرهه لفظياً، و للتوترات الانفعالية افراغاً لفظياً (إخراج الهواء الساخن).

٢- تتيح أحياناً ((تصويراً صورياً تبريرياً للبيئة تجعل العالم الذي يحيط بنا يبدو معقولاً)).

٣- أما الدافع الذاتي لناقل الشائعة Rumour Monger فيرجع إلى:  
أ. ميله إلى حب الظهور.

ب. الرغبة في التأييد العاطفي والمشاركة في المشاعر.

ج. التسلية والفكاهة وتضييع الوقت (ونسة).

## وظائف الشائعات وأهدافها:

يمكن تلخيص وظائف الشائعات وأهدافها في الآتي: (٨)

١- التأثير على معنويات العدو وتفتيت قواه العامة للوصول به إلى الارهاق النفسي على مستوى الجبهتين العسكرية والمدنية.

٢- تستخدم كستار من الدخان للتمويه لإخفاء حقيقة ما.

٣- تستخدم كطعم للحصول على الحقيقة باجبار الخصم على الكشف عنها.

٤- تستخدم لتحطيم الثقة في مصادر الأخبار والتشكيك فيها.

٥- تستخدم لتقوية معنويات الجبهة الداخلية في ظروف الحرب.

٦- تستخدم لتوضيح بعض الأمور التي لا يرد أن يصدم الشعب أو يفاجأ عند إعلانها تحسباً لردود أفعاله. فتطلق عن طريق شائعات للتهيئة النفسية ثم بعدها

تعلن بصورة رسمية كرفع أسعار الوقود والسلع الضرورية ..الخ.

وقد اتبع "غوبلز" وزير دعاية هتلر هذه الطريقة إبان الحرب العالمية الثانية لتوضيح ما لا يمكن إعلانه بصورة رسمية فكان يحرص ألا يعلن عن تخفيض الحصص

الغذائية إلا بعد أن يفعل ذلك من وراء ستار. (٩)

## أنواع الشائعات:

تصنف الشائعات حسب مضمونها النفسي على النحو الآتي: (١٠)

١- شائعات الأمان: وهي عبارة عن تنفيس للطلبات والحاجات والأمان وهي أخطر أنواع الشائعات لأنها تؤدي إلى (التخدير) والوقوع في الفخ الذي ينصبه العدو، أي التراخي وعدم الاستعداد للمقاومة.

٢- شائعات الخوف: أي إثارة الرعب من العدو وتضخيم قوته أو الخوف من انتشار مرض أو وباء، أو من حوادث إرهاب وعمليات غامضة.

٣- شائعات الكراهية: وذلك بإثارة الشبهات أو تحويل الولاء ودق الإسف.

وتصنف الشائعات حسب معيار الوقت على النحو الآتي: ١١

١- الشائعة الفاعلة: وهي التي تظهر ثم تغوص تحت السطح لتظهر مرة أخرى عندما تنهي لها الظروف المواتية- مثل الشائعات التي تظهر مع كل حرب أو أزمة حول تسميم قوات العدو لمياه الشرب أو الأنهار (مثلًا انتشار مرض السرطان في الولاية الشمالية اقترن بإشاعة حول دفن نفايات ذرية بالمنطقة تظهر كلما زادت حالات الإصابة بالمرض).

٢- الشائعة الزاحفة: وهي التي تروج ببطء ويتأقلمها الناس همساً وبطريقة سرية تنتهي في آخر الأمر بأن يعرفها الجميع.

٣- شائعات العنف: وهي تنتشر كالنار في الهشيم وبسرعة في الهيجان الشعبي واضطرابات الغوغاء، أثناء التظاهرات غير المنظمة أو في حالات تفريقها بالقوة من قبل السلطات الأمنية.

عوامل انتشار الشائعات ومناخ تولدها وحضانتها:

يمكن تلخيص أهم العوامل المؤدية لتوليد الشائعات وانتشارها في الآتي: ١٢

١- تظهر الشائعات ذات الطابع السياسي كأداة في الحرب النفسية في الظروف غير الطبيعية كالحروب الأهلية والأزمات الاقتصادية وتدهور الأوضاع السياسية أو في ظروف مواجهة عدوان خارجي.



٢- الأسقاط: تظهر الشائعات في ظروف الكبت وغياب الحريات والخوف وغياب الأمن فالخوف يساعد على ظهور الشائعات ويضاعف في تضخيمها وسرعة انتشارها.

٣- التعويض: قلة المعلومات أو عدم وجودها، لذلك تعوض الإشاعة هذا النقص بوقائع زائفة أو تقديم أنصاف حقائق.

ويقع الناس ضحية للشائعات عندما يفقدون الثقة بمصادر أخبارهم الرسمية، لأن المواطن العادي إذا كون أحكاماً سلبية تجاه مصداقية وسائل الإعلام الوطنية فإنه سيلجأ بكل سهولة إلى وسائل الاتصال الأجنبية التي تقدم له حقائق مخلوطة بالأكاذيب، إلا أنه قد يتأثر بها ويروجها لأنه يمتلك أصلاً أحكاماً بالمصداقية على هذه الوسائل.

٤- التبرير: تتولد الشائعة إذا كانت مادتها مبنية على تبرير رغبات الجمهور ومشاعره العامة وأهوائه ومصالحه أو إذا كانت تدعم الاتجاهات القائمة في المجتمع.

#### أثر تكنولوجيا الاتصال في انتشار الشائعات أو الحد منها:

اختلف الباحثون حول أثر التكنولوجيا الجديدة في نشر الشائعات ونتيجة لذلك ظهر اتجاهان: ١٣

**الاتجاه الأول:** يرى أن وسائل الاتصال الحديثة ساعدت على نشر الشائعات وترويجها سواء بقصد أم بغير قصد، وأن التدفق الهائل للمعلومات والآراء وتسارعها يولد أحياناً نوعاً من التجاهل أو الارتباك لدى فئات معينة من الجمهور، إما لعدم قدرتهم على استخدام هذا الكم الهائل من المعلومات أو لعدم قدرتهم على المفاضلة أو الاختيار من بينها (الانتقاء).

كما أن هذا التطور زاد من ((فجوة المعرفة)) بدلاً من تضيقها بين الطبقات، يضاف لذلك توفر تكنولوجيا الاتصال الشفهي بين الأفراد مثل الموبايل والاتصال التفاعلي في الأنترنت ومواقع الدردشة، لذلك أصبحت المعلومات مصدراً خطراً للشائعات والحرب النفسية.

الاتجاه الثاني: يربط بين تطور وسائل الاتصال الحديثة وقدرة أفراد المجتمع على استخدامها من جهة ، وبين زيادة القدرة على مواجهة الشائعات والحد منها، فالشائعات حسب هذا الاتجاه تنتشر في المجتمعات البدائية التي تعتمد على الاتصال الشفهي وتقل فيها الوسائل الحديثة. وبوجه عام فإن الشائعات تتولد وتسري بسرعة كبيرة في أوقات الحروب، وتنتشر الشائعات حين يرتاب الأفراد في الأخبار التي تبلغهم، فالحروب والاضطرابات والمنافسة الحادة في الانتخابات كلها تعمل على توليد النمط الخبيث من الشائعات الفاحشة المعروفة باسم حملات الهمس كما أنها تدور حول الفضائح الجنسية ، وصحيح أن الشائعات تزدهر عندما تعظم الحاجة إلى الأخبار ولكنها تكون في أغزر صورة عندما تكون الأخبار في أقصى وفرتها - على سبيل المثال إشاعات بيرل هاربر بعد نشر الصحف الأمريكية بلاغ رسمي عن الكارثة (أبان الحرب العالمية الثانية) وإشاعات موت هتلر في صيف ١٩٤٤م مع المناقشة المفتوحة في الصحف حول الانهيار الوشيك لألمانيا. وقد أثبتت التحريات عدم الثقة في الإشاعات التي تنتشر على نطاق واسع ومرد ذلك إلى الدور الكبير الذي يلعبه الإعلام. ١٤

#### أساليب مكافحة الشائعات والوقاية منها:

كثيراً ما يجد رجل الدعاية أن من الصعب محاربة شائعة ..! فلو سكت عليها قد تزداد انتشاراً، ولو حاول تكذيبها فسيجعل من لم يسمع بهذه الشائعة يسمعها عن طريقه هو.. لذلك فإن الوسيلة المثلى لتكذيب الشائعة - إما أن تكون بطريق غير مباشر أو بكشف مصدر الشائعة والقصد منها، وهذا يتطلب مهارة من رجل الدعاية. ١٥.

#### ويمكن تلخيص أهم أساليب مكافحة الشائعات في الدول النامية في الآتي: ١٦

- ١- يجب وضع استراتيجية وقائية من الشائعات كجهة استشارية من خلال التثقيف والتوعية وتنظيم دورات تدريبية لقادة الرأي في المجتمع.
- ٢- استخدام أسلوب إدارة الأزمة في الظروف غير الطبيعية بتأسيس مكتب يعمل به مختصون متطوعون للتعامل مع الشائعات كجهة استشارية أو ما يسمى (عيادات الشائعة) أو فريق عمل إدارة الأزمة.

- ٣- إيجاد المؤسسات الدستورية والشعبية والتي تعني بمكافحة الشائعات مع كفالة الحريات العامة ودعم الاتجاهات الوطنية.
- ٤- تزويد الناس بالمعلومات الصحيحة وتعزيز الثقة في وسائل الإعلام الوطنية والقضاء على الشائعات بالحقائق وحرية الرأي وبالصدق و تقديم الأنباء حال حدوثها وبالسرعة الممكنة كاملة وباستمرار.
- ٥- المحافظة على سرية المعلومات المصنفة كي لا تتسرب وتتحول إلى شائعات والحرص على تحصين المواطن من الثروة (الزم شفتيك السكينة تنقذ سفينة).
- ٦- إخماد الشائعات بالوقائع خير من الرد عليها، أو التكذيب بتناول الشائعة مباشرة ودحضها في حالات معينة.
- ٧- التحذير من مروجي الشائعات ومثيري الفتن والحروب واستخدام الرقابة والعقوبة القانونية. ويتوقف نجاح هذه الطريقة على طبيعة المجتمع الذي تطبق عليه.
- ٨- تعميق الوازع الديني والأخلاقي وتوظيف التراث في هذا الصدد من خلال البرامج الإذاعية الهادفة والدرامية وكذلك استخدام المنابر الدينية لمكافحة الشائعات في مواقعها المكانية قبل انتشارها.
- ٩- موقف الإسلام من الشائعات:  
ورد في القرآن الكريم تحذيرات للرسول (صلي الله عليه وسلم) في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْعُ كُلَّ حَلَّافٍ مِّمِّينَ ١٠/٦٨ هَمَّا زِ مَّشَاءَ بِنَمِيمٍ ١١/٦٨﴾ " سورة القلم الآيتين ١٠-١١". وأمره تعالى للمسلمين: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ٦/٤٩" سورة الحجرات.
- وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يُسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ (٨٣) "سورة النساء.
- وحذر الله سبحانه وتعالى من الكذب وبين العقوبة التي يستحقها الكاذب فقال تعالى: ﴿فَجَعَلَ لَعْنَةُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْكَاذِبِينَ (٦١)﴾ سورة آل عمران .

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مَّسْوَدَةٌ﴾ (٦٠) سورة الزمر. وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَقْتَرِي الكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ (١٠٥) سورة النحل.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللِّغَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (١١) سورة الحجرات.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (٣٦) سورة الإسراء.

وقوله تعالى: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ (٥) سورة الكهف. وجاءت الأحاديث النبوية الشريفة تحض على قضاء الحوائج بالكتمان في قوله صلى الله عليه وسلم ((استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان))، ووصف القرآن الكريم والسنة النبوية ناقل الشائعة ومروجها بالفاسق والكاذب والمنافق والطعان واللعان والفاحش والبذيء.

### الشائعات في تاريخ الإسلام

تعرض الإسلام ورسوله الكريم في صدر الدعوة إلى حرب نفسية كبيرة وأشكال مختلفة من الدعاية التي استخدمت فيها الشائعات - تمثلت في المصادر الآتية:-

١- الدعاية التي شنّها المشركون ضد الدين الجديد.

٢- الدعاية القائمة على المغالطات من أهل الكتاب (اليهود والنصارى).

٣- المصدر الثالث للشائعات كان من المنافقين.

مارسوا حرب الشائعات والأكاذيب بهدف بذر الفرقة بين المهاجرين والأنصار من جهة وتأليب القبائل العربية على المسلمين من جهة أخرى. وفصل القرآن الكريم في الكثير من آياته فصول هذا الصراع وكشف شائعات أعداء الإسلام.

## نماذج من شائعات المنافقين ضد الرسول (صلى الله عليه وسلم): ١٧

### ١ - شائعة مقتل الرسول (صلى الله عليه وسلم) في غزوة أحد

فقد أشاعوا كذباً في هذه الغزوة بأن الرسول (صلى الله عليه وسلم) قد قتل وقالوا: (لو كان نبياً ما قتل)، ولكن أمام الحرب النفسية قال ناس من عليّة أصحاب الرسول (صلى الله عليه وسلم) "قاتلوا على ما قاتل عليه نبيكم حتى تلحقوا به" فنزل قوله تعالى: ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين (١٤٤)﴾ سورة آل عمران. ومن هنا نلاحظ أن الشائعة حينما أطلقت لم تكن صادقة، إلا أن الرد عليها لم يكن متعلقاً بنفيها بقدر ما هو متعلق بنفسية المؤمنين وما يجب أن يكونوا عليه من الإيمان الصادق.

لقد كان الرد واقعياً متوجهاً إلى النفس في إيمانها مبيناً ما يجب أن يكون عليه المؤمنون وما يجب أن يوطنوا أنفسهم عليه. ولقد كان الرد كاشفاً الوضع في حقيقته التامة. وفي أبعاده العميقة (...) تلك الحقيقة هي أن النبي (صلى الله عليه وسلم) رسول كالرسل يموت كما ماتت قبله الرسل وأن على المؤمنين أن يثبتوا على الإيمان. وأن النبي إن فارقهم بالموت فلا ينبغي أن يفارقوا عقيدتهم وإيمانهم بل عليهم أن يقاتلوا على ما قاتل عليه نبيهم.

### ٢ - شائعة حديث الإفك (التشهير بالنبي "صلى الله عليه وسلم" وأهل بيته)

كانت فرصة اختلقها عبد الله بن أبي سلول، ليفتح جبهة جديدة في حروبه القذرة يعوض بها هزائمه السابقة (...).

ففي خلال عودة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من غزوة بني المصطلق إلى المدينة نبت حديث الإفك وشاع فهو من أخطر الشائعات التي نشرها أعداء الإسلام.

لأن هذه الشائعة استهدفت شخص رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ممثلاً في أحب زوجاته إليه وهي أم المؤمنين السيدة عائشة (رضي الله عنها).

استباح بن أبي سلول لنفسه أن يتهم السيدة عائشة (رضي الله عنها) بالفاحشة مع صفوان بن المعطل. واشتدت الشائعة بعد رجوع المسلمين إلى المدينة. ومن المؤكد أن هذه الشائعة كانت ستزداد اتساعاً وخطورة على كيان المسلمين كله لولا أن حسمها القرآن الكريم نفسه وتولى المعركة دفاعاً عن الإسلام ورسول الإسلام .. نزل الوحي ببراءة السيدة عائشة الصديقة الطاهرة وبراءة بيت النبوة الطيب الطاهر الرفيع القدر وكشف المنافقين الذين حاكوا هذا الإفك. واكتسبت شائعة حديث الإفك سرعة في سريانها طوال شهر كامل لأنها توفر لها الشرطان الأساسيان لشدة سريان الشائعة:

١- أهمية موضوع الشائعة: وهو هنا يتعلق بأظهر بيت وأنقى أسرة عرفت لها البشرية.

٢- شدة الغموض الذي غلفها وأحاط بها.

وبسبب اشتداد صدى الشائعة غيرت تفكير بعض المسلمين ومنهم حسان بن ثابت، ومسطح بن أثانة، وحمنة بنت جحش وهم من المسلمين الذي انجرفوا في تيار هذه الشائعة ورددوها علانية وما كان لهم أن يفعلوا ذلك وكان عليهم أن يظنوا بالمسلمين خيراً ولذلك نالوا الجزاء العادل ونفذ فيهم الحد.

بعد أن نزل قول الحق تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تحْسِبُوهُ شَرّاً لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ، لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم \* لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا إفك مبين \* لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون \* ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم \* إذ تلقونه بالسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم \* ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانه هذا بهتان عظيم \* يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً إن كنتم مؤمنين \* ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم (١١-١٨)﴾ سورة النور.

## نماذج من الشائعات السياسية المعاصرة ووسائل نشرها: ١٩

### ١- برقية "إيمز":

تشير كتب الدعاية المعاصرة إلى أن هذه البرقية التي زورها المستشار (بسمارك) وبثها على الصحف الألمانية كانت السبب المباشر لقيام الحرب بين فرنسا وألمانيا عام ١٨٧٠. وكان هدف هذه الشائعة افتعال أزمة لتبرير غزو ألمانيا لفرنسا.

### ٢- شائعات الصحف الإيطالية المزورة (هزيمة كابريتو ١٩١٧م):

عمد الألمان على توزيع نسخ زائفة للصحف الإيطالية أثناء الحرب العالمية الأولى، استخدمت نفس الأساليب الطبوغرافية والإعلانات الإيطالية- ودست فيها أخباراً عن الانهيار الوشيك للحلفاء في الجبهة الغربية- وكما دست تقارير عن حدوث اضطرابات صناعية خطيرة في المدن الإيطالية، وتدخل الشرطة لقمع الاضطرابات بعنف- تم توزيع تلك الصحف عن طريق العملاء الألمان (الطابور الخامس). وعندما بدأ الجيش الألماني والنمساوي الهجوم على الجيش الإيطالي في قرية (كابريتو) وجدوا فجوات كبيرة في الخطوط الدفاعية الإيطالية، لأن آلاف الجنود الطليان كانوا قد تركوا مواقعهم القتالية وسلاحهم، وعادوا إلى قراهم ومدنهم ليطمئنوا على أسرهم مما أدى إلى هزيمة منكرة للجيش الإيطالي وبشكل رهيب. وكان الهدف من تزوير الصحافة الإيطالية ودس أخبار مختلقة فيها هو إضعاف الروح المعنوية للجنود الطليان حتى تسهل هزيمتهم.

### ٣- إشاعات "بيرل هاربر" ١٩٤٢م إبان الحرب العالمية الثانية:

وهي إشاعة أطلقها الأمريكيون حول هجوم على الأسطول الأمريكي في بيرل هاربر وانتشرت شائعات أخرى داخل المجتمع الأمريكي بأن الخسائر الأمريكية أكبر بكثير مما اعترفت به السلطات - وأن الأسطول الأمريكي قد غرق بالكامل في بيرل هاربر- وزعمت شائعات أخرى أن ألف طائرة تم تدميرها على الأرض في نفس اليوم مما أضطر الرئيس روزفلت للرد على هذه الشائعات وتفنيدها في خطابه عام ١٩٤٢م . ومن الواضح أن هذه الشائعة كانت تهدف إلى إيجاد ذريعة لشن الهجوم

الأمريكي على دول المحور النازي - الفاشي - أي مبرر للرأي العالم الأمريكي للدخول في الحرب إلا أن الشائعة تفاقمت محلياً وأحدثت نتائج عكسية .

٤- شائعة الهجوم على المدمرة الأمريكية مادوكس في خليج "تونكين" ١٩٦٤م:

حيث اختلقت أمريكا قصة (عدوان فيتنامي على المدمرة الأمريكية "مادوكس") في أعالي البحار وكانت هذه الشائعة هي الشرارة التي أشعلت حرب فيتنام .

نماذج من الشائعات المصورة في الحرب الباردة وحرب الخليج ٢٠:

١- شائعة مجزرة تيمشوارا الرومانية ١٩٨٩م:

في ديسمبر ١٩٨٩م أعاد الإعلام الألماني الغربي استخدام أساليب الدعاية النازية في اختلاق القصة الخبرية - ولكنها كانت مصورة هذه المرة ، حيث قامت الشبكات التلفازية الألمانية بمنتجة مشاهد متلفزة لمجزرة مزعومة في مدينة "تيمشوارا" الرومانية الواقعة على الحدود المجرية.. وقد أدت هذه المشاهد المصنوعة لمجزرة فظيعة إلى هيجان شعبي هائل في رومانيا أودي بنظام "شاوشيسكو" وجره إلى المحاكمة الشهيرة.

٢- شائعات حرب الخليج الثانية والثالثة: ١٩٩١-٢٠٠٣م:

واجه الرئيس بوش (الأب) تحفظ مجلس النواب والشيوخ (الكونغرس) على نقل القوات الأمريكية إلى الخليج إبان أزمة الاحتلال العراقي للكويت عام ١٩٩١م، فلجأ إلى شركة علاقات عامة لتسويق الحرب على العراق.. فقامت الشركة بالاتفاق مع استديو سينمائي لندني على منتجة مشاهد حية "تظهر فيها على الشاشة أم مكلومة تروي كيف قتل جنود عراقيون بنتها الطفلة، حيث انتزعوا أنابيب التنفس والتغذية من أنفها وفمها وشرابينها في المستشفى الكويتي الذي دخلوه البارحة وقتلوا مرضاه ". وعندما عرضت هذه المشاهد على مجلسي الشيوخ والنواب الأمريكيين، وافقا على الفور على نقل القوات الأمريكية إلى الخليج ولم تكن تلك الأم المكلومة في المشاهد الزائفة سوى قصة مختلقة من أساسها.



واستخدمت نفس الحيلة لإقناع المملكة العربية السعودية على دخول قوات أمريكية إلى أراضيها بهدف حمايتها من غزو عراقي وشيك. ووظفت في ذلك صور الأعمار الصناعية لدبابات كويتية غارقة في الرمال السعودية بعد أن تركها الجنود الهاربون.

واستخدمت نفس الحيل البصرية باستخدام زوايا الكاميرا في مشاهد سقوط بغداد بتضخيم عدد المرحبين بقوات الغزو وقد كشفت مئات البحوث الغربية كماً هائلاً من القصص الخبرية المختلفة والتي تم استخدامها كمبرر للحرب على العراق واحتلاله على رأسها أكذوبة أسلحة الدمار الشامل العراقية.

#### أثر الشائعات السياسية في تاريخ السودان الحديث

١- شائعة أول مارس ١٩٥٤م. ٢١

بعد فوز الحزب الوطني الاتحادي بزعامة السيد إسماعيل الأزهرى في انتخابات ١٩٥٣ م. ساد الإحباط وسط الاستقلاليين بزعامة حزب الأمة. وبمناسبة افتتاح البرلمان السوداني في أول مارس ١٩٥٤ م تمت الدعوة للعديد من الزعماء والبرلمانيين من بلدان مختلفة من العالم من بينهم الرئيس المصري المرحوم محمد نجيب مما ضاعف من مخاوف البريطانيين وحزب الأمة حيث كانوا يعتقدون أن المرحوم إسماعيل الأزهرى سيعلمن الوحدة مع مصر .. تنفيذاً لشعار وحدة وادي النيل الذي تبنته الحركة الاتحادية.

#### الرواية الأولى: ٢٢

يقول الإداري البريطاني غراهام ف توماس في كتابه المعنون "السودان: موت حلم" أن حزب الأمة والأنصار قرروا تنظيم مظاهرة ضخمة بهدف إعلان موقفهم المعارض للوحدة مع مصر ، ولتحقيق هذا الغرض عقد اجتماع في منزل السيد عبد الرحمن ضم السادة الصديق المهدي وعبد الله خليل وآخرين بمن فيهم غراهام ف توماس. وكانت خطة المظاهرة بأن يقوم الأنصار بالتجمع قريباً من المطار ثم يسيرون في صف طويل على طول طريق الموكب الذي سيرافق الرئيس المصري محمد نجيب.

أما (البركة) من قبل الإمام فتمنح للأنصار من شرفة بيت السيد الصديق وهو آخر بيت على طريق المطار. وكان الشعار الذي سيرفع - حسب الخطة - هو: (أهلاً بك يا نجيب لكن لا اتحاد مع مصر) .

وتجمع الأنصار في ١٩٥٤/٣/١ م بالمطار وبعد أن نالوا (البركة) ظلوا ينتظرون وصول الرئيس محمد نجيب. وبعد أن اكتشفوا أن السلطات الأمنية السودانية قد أخرجت الرئيس المصري الزائر من البوابة الخلفية للمطار ونقلته إلى القصر بسبب ضخامة تجمع الأنصار الذي بلغ أكثر من ١٠ ألف، اتجهت حشود الأنصار نحو القصر وهي تردد الشعار المتفق عليه وعندما وصلوا إلى ساحة القصر الرئيسة ، فوجئوا بحاجز أقامته الشرطة لمنعهم من التقدم، مما زاد من التوتر - وحسب رواية غراهام - قاد أحد مساعدي الشرطة ويدعى مهدي مصطفى سيارته وسط ذلك الزحام الهائج في محاولة منه لوقف ومنع التوتر، إلا أن المتظاهرين التقطوه وقتلوه - رغم أنه أنصاري - وحاول إداري إنجليزي اسمه ماك جوكين إنقاذ الشرطي ودخل وسط المتظاهرين على ظهر جواده فانتزع هو من ظهر جواده وطعن حتى الموت - وحدثت الفوضى التي أدت إلى مقتل ثلاث وثلاثين ضحية - بسبب شائعة تقول " أن الرئيس نجيب رفض أن يقابل المتظاهرين وأنه يخطط لإعلان الوحدة مع مصر مع الزعيم الأزهري".

هذا الجو المشحون كان هو الحاضنة لتولد هذه الشائعة.

### الرواية الثانية: ٢٣

يقول محمد سعيد محمد الحسن: كانت لهذه الأحداث أكثر من جانب أي أنها لم تكن نتاج إشاعة مباشرة وإنما تفاعلات صنعتها وأفضت إلى صدام دام. ونقلًا عن تقارير تلك الفترة أول مارس ١٩٥٤ م فإن جماعات وحشوداً كبيرة تقاطرت نحو العاصمة في يومي ٢٧ و ٢٨ فبراير ١٩٥٤ م ونبه وزير الداخلية - وهو أيضاً رئيس أول حكومة وطنية - إسماعيل الأزهري إلى هذا الحشد غير المألوف بالعاصمة فدعا لاجتماع بمكتبه، ولكن مدير البوليس البريطاني أرسل خطاب اعتذار وأرسل

نيابة عنه مستر ماكوفت قمندان البوليس لارتباط سابق بالسرايا أي لديه ارتباط مع الحاكم العام البريطاني وكان معه مساعده السوداني، وبسؤالهما "عن الأمن في العاصمة أكدا أن كل شيء على مايرام" وقال مستر ماكوفت: " أن هؤلاء الوافدين مسالمون " ولايمكن أن يحدث منهم مايعكر صفو الأمن، وأنهم يطيعون الأمر متى ما طلب منهم ذلك . فاكتمى الاجتماع بالتقرير الشفهي ، وكانت هناك تساؤلات متى كانت العاصمة مفتوحة للوافدين وللحشود وبمثل هذا العدد، وفي توقيت ومناسبة تحتاج إلى النظام والأمن العامين؟

ومع تباشير الصباح تخطت الحشود الشارع المفضي إلى المطار حتى أن رئيس الوزراء اسماعيل الأزهرى وجد صعوبة بالغة لاستقبال اللواء محمد نجيب، وعندما هبطت الطائرة المقلّة للواء محمد نجيب والوفد المرافق له ومنهم الشيخ أحمد حسن الباقوري وزير الأوقاف في الحكومة المصرية . وكانت الجماهير داخل المطار تردد هتافات بحماس بالغ للواء نجيب.

كما كانت هناك هتافات تجمعات الأنصار بأعلامها المعروفة تردد (عاش الإمام محرر السودان) وبدأ التجسس والخشية عندما عرف أن الكثيرين أخفوا أسلحة تحت ثيابهم، وسلك الوفد الرسمي طريقاً مغائراً إلى "السرايا" تفادياً للصدام مع التجمعات الوافدة ولكن كانت هناك حشود أخرى ملأت ميدان كتشنر وتسربت شائعات أخرى داخل الحشد بأن هناك مجموعات أخرى سوف تتصدى للأنصار وأنهم بدورهم اندفعوا للأمام مما اضطر البوليس لإطلاق النار ومع الزحام قذف بعض الناس بأنفسهم داخل النيل وأسفر الموقف عن ضحايا وجرحى من البوليس والأنصار ومواطنين عادييين.

وذكر السيد إسماعيل الأزهرى أنه أثناء الأحداث أبلغه الحاكم العام البريطاني "سير روبرت هاو" إنه يقترح إعلان حالة الطوارئ ولكن الأزهرى رأى بغير ذلك لأنه خشي أن يكون إعلان حالة الطوارئ ذريعة لإحداث فراغ دستوري مما يؤدي إلى إلغاء أو تجميد اتفاقية الحكم الذاتي ورغم ذلك دعا لاجتماع طارئ لمجلس الوزراء

الذي أقر حالة الطوارئ لعشرة أيام فقط يعقد بعدها البرلمان المنتخب لمزاولة مهامه. وهكذا أحبطت مؤامرة البريطانيين لتجميد اتفاقية الحكم الذاتي للسودان.

## ٢- الشائعات التي أشعلت حرب الجنوب (تمرد الفرقة الاستوائية

١٨/٨/١٩٥٥م): ٢٤

يقول د. عبدالله علي إبراهيم: كان هذا اليوم هو بدء الأيام السوداء في سياسة العلائق العرقية التي ضربت تاريخ السودان الحديث، فقد كانت مجزرة بمعنى الكلمة راح ضحيتها ٣٦٦ مدنيًا سودانيًا - منهم ٧٥ جنوبيًا و ٢٦١ شماليًا فيهم نساء وأطفال جميعهم من المدنيين - فقد قتل في توريت وحدها ٨٧ شماليًا وأبيدت أسرة المرحوم محمد أحمد فضل المولى التاجر عن بكرة أبيها، زوجة وأربعة أبناء كان آخرهم قد ولد في الحراسة قبل الذبح. ويضيف الكاتب قائلًا:

ومن المفارقات الغريبة أن يعلن الفريق سلفاكير النائب الأول لرئيس الجمهورية ورئيس حكومة الجنوب هذا اليوم بالذات ١٨/ أغسطس يومًا للمحاربين من كل عام؟! "حدث التمرد الدموي أثر نشر إشاعة ودعاية مسمومة مفادها أن الفرقة الاستوائية التي أنشأها الإنجليز أصلًا لتكون نواة الجيش في حالة انفصال الجنوب عن الشمال - قد دعت للحضور بواسطة الحكومة من الاستوائية للخرطوم لضربها بالرصاص فور وصولها. ونشرت رسالة مزورة منسوبة لإسماعيل الأزهرى رئيس أول حكومة وطنية " كما جاء في تقرير القاضي قطران.

يقول عبد الله علي إبراهيم " هذا اليوم هو اليوم الذي تشككت الفرقة الاستوائية بمدينة توريت في الأمر الصادر لها بالتحرك للخرطوم للمشاركة في الاحتفال بعيد الاستقلال الأول فرفضت تنفيذ الأمر ونسقت مع أطراف أخرى للفرقة بمدن الجنوب لشق عصا الطاعة على الدولة، وفعل هذه الفرقة هو الذي أعطى الحركة القومية الجنوبية المسلحة صفة (التمرد) في أدب الحكومة حتى يومنا هذا " ٢٥

وبرر ريتشارد موارو الكاتب الجنوبي في صحيفة الخرطوم مونتر اختيار سلفاكير ليوم ١٨/ أغسطس من كل عام عيدًا للجيش الجنوبي قائلًا: " إن موت أي إنسان مسالم

ليس بالأمر الذي يؤسف له فحسب بل يجب أن يجد كل الشجب والإدانة، فقد تم إنقاذ العديد من الشماليين أو تم إخفاؤهم حتى عاد السلام إلى عاصمة الإستوائية حيث وقعت الحادثة. وهذا العمل الذي يتسم بالرحمة لم يصدر أي شكر من المجتمع الشمالي له كما أن معظم إن لم يكن جميع الذين شاركوا في مذبة الشماليين في المديرية الاستوائية قد فروا إلى الغابات أو الجبال أو إلى دول الجوار وربما اعتقل القليل منهم وتم إعدامهم، غير أن معظم أولئك الذين قتلهم الشماليون بعد اتهامهم بالضلوع في التمرد كانوا من الأبرياء".

وسرد الكاتب نماذج من المحاكمات لبعض الأبرياء الذين أعدموا وختم قائلاً على الأخ عبد الله علي إبراهيم ألا يلقي باللائمة على الرئيس كير لإعلان ذلك اليوم يوماً للشهداء، لأن ذلك الإعلان يقصد النماذج التي أبرزها الكاتب فقد لقي آلاف الجنوبيين مصرعهم نتيجة لتلك الحادثة ولا يعلم عددهم إلا الله وحده وقد كانت المحاكمات حيالهم غير عادلة ولا يمكن أن يتصور الوضع العصيب الذي تعرضوا له سوى الجنوبيين أنفسهم. فقد كانت محاكمة أولئك الجنوبيين بتهمة الضلوع في أحداث التمرد مجرد انتقام أكثر منها عدالة، ولذلك فإن ١٨/٨/١٩٥٥م سوف يظل كيوم موت لأولئك الأبرياء نتيجة لمحاكمات غير عادلة في محاكم كانت شمالية بأكملها سواء أكانت عسكرية أم مدنية. ٢٦

### ٣- إشاعة الـ BBC باحتلال حلفا وحلايب ١٩٥٨م: ٢٧

سبب إطلاق هذه الشائعة هو طلب الحكومة المصرية موافقة حكومة السودان على إشراك سكان حلايب في الاستفتاء على ميثاق الوحدة بين مصر وسوريا - وقامت لجنة الاستفتاء بزيارة المنطقة، فأذاعت إذاعة لندن خبراً مختلقاً يقول إن القوات المصرية قامت باحتلال المدن السودانية الحدودية حلفا وحلايب - فتنبه عبد الناصر إلى أهداف بريطانيا في تسميم العلاقات المصرية السودانية وأعلن أن الجيش المصري لا يمكن أن يوجه سلاحه للأشقاء وأمر بسحب اللجنة فوراً.

#### ٤- شائعة الأحد الأسود (أكذوبة إغتيال كلمنت أمبوريو) ١٢/٦/١٩٦٤م: ٢٨

كانت هذه الشائعة في أعقاب نجاح ثورة ٢١/أكتوبر/ ١٩٦٤ وشكلت حكومة انتقالية برئاسة السيد سر الختم الخليفة عميد المعهد الفني آنذاك، حيث اتفقت القوى السياسية وجبهة الهيئات على اختياره، ومن ضمن المزاي التي رشحته أنه عمل في الجنوب لأكثر من عشر سنوات وأن لديه علاقات طيبة مع المتعلمين والإداريين في الجنوب. وهو بدوره اختار السيد كلمنت امبورو الذي عمل كإداري ومعمد في عدة مدن بالسودان منها شندي وبورسودان كوزير للداخلية وأصبح المسئول عن أمن السودان كله، فقد كان في زيارة رسمية للمديريات الجنوبية "وطلب المواطنون الجنوبيون بالعاصمة إذنًا من السلطات المختصة لاستقباله شعبياً لدى عودته من الجنوب فوافقت، ولكن طائرة وزير الداخلية السيد كلمنت امبورو تأخرت لسبب ما، فسرت شائعة - وسط الجماهير المحتشدة في المطار- بأن وزير الداخلية أصيب أو قتل بأيدي شماليين لأنهم أرادوا التخلص من وزير الداخلية الجنوبي:"

وسرعان ما انطلق المتظاهرون في المطار إلى ضرب وقذف المارة بالحجارة، وحرقت السيارات واشعال النيران، ووصلت الطائرة المقلّة للسيد كلمنت امبورو - بعد اشتعال الأحداث بفترة قصيرة - مما أكد عدم صحة الشائعة- ولكن الهياج وأعمال الحرائق استمرت إلى درجة خشي معها المسئولون على حياة الوزير بعد وصوله. فأدخلوه إلى غرفة وأحضروا له مايكروفون لمخاطبة الجماهير الغاضبة واعتذر لهم عن تأخير طائرته وأنه بخير ووعدهم بقاء آخر، ولكن الإشاعة كانت قد انتقلت من المطار إلى قلب الخرطوم وجوار سينما كلوزيوم حيث سارع الجنوبيون إلى حصص المارة وإضرار النار في السيارات وأعمال التدمير والتخريب، وما كان في المقابل من الشماليين إلا أن حملوا فروع الأشجار على المخربين في رد فعل قوي دفعهم إلى اللجوء إلى مدرسة كمبوني واحتموا بمكاتبها إلى أن تدخلت القوات المسلحة وسيطرت على الموقف.

أدت هذه الشائعة إلى إزهاق عدد كبير من أرواح الأبرياء الشماليين وجنوبيين قدروا بالمئات علاوة على الخسائر المادية الكثيرة في الممتلكات . وهي إشاعة شبيهة إلى حد كبير في عوامل تولدها بشائعة مقتل قرنق في ١/٨/٢٠٠٥م.

#### ٥- تولدت الشائعة المرتزقة

تولدت في عهد الحكم المايوي بقيادة جعفر نميري ١٩٦٩-١٩٨٥ م عدد كبير من الشائعات السياسية مصدرها الحكم والمعارضة..فمناخ الحكم العسكري وكبت الحريات كان الحاضنة لتولد تلك الشائعات السياسية، تدور تلك الشائعات أغلبها حول القصر ورجاله وعلاقات نميري برجل الأعمال السعودي عدنان خاشقجي وصفقة تهجير اليهود الفلاشا عبر السودان إلى إسرائيل ودفن نفايات ذرية في شمال السودان وتهريب اليورانيوم من السودان ..الخ. وتزايدت الشائعات والقصص الخبرية المختلفة أبان انفجار التظاهرات الطلابية في يناير ١٩٨٢ وفي سياق تلك الأحداث سرت شائعة بمقتل احد الطلبة المستقلين فخرجت أغلب التنظيمات السياسية بيانات تنعي ذلك الطالب باسمه وتدعي انتمائه لصفوفها وتعهده أحد شهدائها..

وبعد هدوء التظاهرات ثبت عدم وجود طالب بذلك الاسم بالجامعة وبأن القصة مجرد شائعة مختلقة من أساسها.

ومن أشهر الشائعات في عهد الحكم المايوي هي تلك الشائعة التي أطلقتها أجهزة الحكم المايوي أثناء أحداث حركة ١٠ يونيو ١٩٧٦ م المسلحة والتي نظمتها الجبهة الوطنية المعارضة لنظام نميري وكان مقرها في ليبيا بزعامة السيد الصادق المهدي والشريف حسين الهندي ود. حسن الترابي. حيث أذاعت الأجهزة المايوية نداءً عبر الراديو يطلب من المواطنين التصدي للأجانب المرتزقة القادمين من خارج الحدود. مما أدى إلى استفار شعبي ضد الحركة وإجهاضها رغم كراهية الناس لذلك الحكم العسكري ... في حين كان أولئك الشباب الذين سموهم مرتزقة هم سودانيون أغلبهم من أقاليم البلاد الغربية والشرقية. وقد تم إعدام المئات منهم ودفن أغلبهم أحياء في الحزام الأخضر بالخرطوم.!

## ٦- شائعة مصنع الشفاء ٢٠ أغسطس ١٩٩٨م

في حقبة التسعينات من القرن الماضي سادت تقارير استخباراتية دولية بأن السودان يأوي الإرهاب. ويقام معسكرات لتدريب الإرهابيين بالتنسيق مع زعيم تنظيم القاعدة أسامة بن لادن.

وانتشرت تقارير ودعاوي أخرى بأن السودان أخذ في تطوير أسلحة جراثومية فتاكة بالتعاون مع العراق، وكذلك تطوير صناعة أسلحة كيميائية - وكانت مصادر هذه المعلومات هي بعض أطراف المعارضة السودانية بالخارج - وتثبتت المخابرات الأمريكية الـ C.I.A هذه المزاعم وأوصلتها إلى الرئيس الأمريكي كلنتون كمعلومات دقيقة ، في ضوء ذلك قررت الإدارة الأمريكية ضرب مصنع الشفاء للأدوية بمدينة بحري بزعم أنه المكان الذي تصنع فيه الأسلحة.

وأثبتت التحقيقات اللاحقة لتدمير المصنع عدم صحة هذه الشائعات والمزاعم.

## ٧- شائعة الاثنين والثلاثاء الأسودان - مقتل قرنق ١-٢/٨/٢٠٠٥م

في يوم الاثنين ٨/١ والثلاثاء ٢/٨/٢٠٠٥م وبعد إعلان نبأ رحيل الدكتور جون قرنق النائب الأول لرئيس الجمهورية في وسائل الإعلام شهدت الخرطوم أحداث عنف مؤسفة راح ضحيتها مئات القتلى والجرحى وخسائر كبيرة في الممتلكات.

نجمت هذه الأحداث المؤسفة عن شائعة انتشرت وسط أبناء الجنوب في الخرطوم مفادها أن الشماليين تأمروا واغتالوا جون قرنق. مما دفعهم للقيام بأعمال شغب وقتل وحرق للممتلكات بالعاصمة، ويرجع د. محمد يوسف أسباب هذه الأحداث إلى الخطاب غير الواعي لإدارة هذه المحنة الذي كان من المفترض له التمهيد لمقتل جون قرنق حتى تتهاى مشاعر وأجهزة الصبر والجلد في نفوس الناس لهذا الخبر لكن إعلان الخبر دون سابق إنذار ساهم في تضخم الأزمة فانطلق اليائسون في الشوارع محطمين كل شيء دون إعطاء فرصة لقيادة توجههم وتبين لهم الحقيقة فتصرفوا بعقل جمعي تساوت فيه عقولهم جميعاً.



أما أحداث يوم الثلاثاء فهي المعركة التي أدارها الشماليون كرد فعل وانتقام، لأنها نتاج صدمة من أحداث الأثنين المروعة التي صدمت الجميع حيث استهدفت أعمال الانتقام من أبناء الجنوب بالعاصمة مما أدى لموت العديد من الأبرياء من السودانيين في اليومين الأسودين.

وفي كل الأحوال فإن الأحداث المؤسفة التي أعقبت مقتل قرنق خلفت شرخاً في الثقة بين الشماليين والجنوبيين وجعلت بينهم بحراً من الدماء - إلا أن الشعب السوداني لديه قدرة استثنائية على تجاوز المرارات والضغائن عن طريق التسامح... مما أعاد العلاقة إلى طبيعتها بين الشمال والجنوب.

#### ٨- شائعة اختلاف علي عثمان مع الرئيس (رحلة تركيا) في أواسط عام ٢٠٠٧ م ٣٠

انطلقت هذه الشائعة بعد سفر نائب رئيس الجمهورية علي عثمان محمد طه إلى تركيا مع عائلته في إجازة استجمام بعد ٩ شهور قضاهم مفاوضاً مع قادة الحركة الشعبية في نيفاشا ٢٠٠٥ م، فحوى الشائعة يقول: ((إن نائب الرئيس سافر إلى تركيا بسبب غضبه من الحكومة لرفضها دخول قوات أممية في دارفور لأنه قطع وعداً للثوريين والأمريكيين في بروكسل بعد توقيع اتفاق نيفاشا بالسماح لتلك القوات بدخول دارفور لحفظ الأمن)).

وفور عودة علي عثمان إلى الخرطوم نفى نائب الرئيس هذه الشائعة بالتصريح قائلاً: ((إن موقف رئيس الجمهورية من القوات الدولية موقفنا جميعاً)). هذه الشائعة أحدثت بلبلة واسعة وهواجس وسط الجمهور بما في ذلك قواعد المؤتمر الوطني الحاكم والحركة الإسلامية السودانية.

#### ١٠- شائعة مقتل النائب الأول للرئيس سلفاكير ٢٠٠٧/٩/٩ م ٣١

في يوم الأحد ٢٠٠٧/٩/٩ م انطلقت في الخرطوم شائعة عبر رسائل الموبايل عن مقتل الفريق أول سلفاكير ميارديت فهرع الناس في الشوارع والطرق نحو مواقف المواصلات والمركبات العامة وأغلق الكثيرون من أصحاب المحلات متاجرهم، وأنهت الكثير من المدارس يومها الدراسي قبل ساعات من الموعد المحدد

وبشكل عاجل نجحت السلطات الأمنية في قتل الشائعة ببث خبر صلاة النائب الأول في إحدى الكنائس بجوبا وتصريحه بعد فترة وجيزة في التلفزيون السوداني .  
لقد انطلقت هذه الشائعة في أجواء سياسية مشحونة وغامضة مترافقة مع تغيير وزاري مرتقب في حكومة الجنوب من جهة وانسحاب قوات الحركة الشعبية من جنوب كردفان إلى حدود ١٩٥٦م

#### ١١- شائعات أزمة دارفور ٣٢

مع تصاعد أزمة دار فور وبروز ادعاءات مدعي المحكمة الجنائية الدولية وهجوم حركة العدل والمساواة بزعامة د. خليل إبراهيم على مدينة أم درمان في العاشر من مايو ٢٠٠٨م تفاقمت الشائعات على مستوى إقليم دارفور والعاصمة القومية.  
فعلى مستوى مدن الإقليم اشتهرت مدينة نيالا عاصمة جنوب دارفور بمدينة الشائعات، بسبب الصراعات السياسية والقبلية المحتدمة هناك.

ومن أشهر الشائعات التي اربكت حكومة الإقليم ذلك التقرير الذي قدمه والي جنوب دار فور لمؤتمر الحركة الإسلامية في أوائل أغسطس ٢٠٠٨ م أثناء انعقاده حيث أعلن الوالي على محمود أنه تلقى تقريراً للتو يفيد باندلاع قتال ضار بين قبيلتي الهبانية والفلاتة في ثلاث مناطق - وبعد نصف ساعة فقط من تقريره وصلته معلومات كشفت عدم صحة الشائعة -.

وفي أثناء هجوم حركة العدل والمساواة في ١٠/٥/٢٠٠٨م انتشرت شائعات بعد فشل الهجوم حول مصير زعيم الحركة فبعض صحف الخرطوم نشرت تقارير عن القبض عليه وأخرى تتحدث عن مقتله صدرت جريدة الأحداث بتاريخ ١٢/٥/٢٠٠٨م بمانشيت رئيس يقول: اعتقال خليل ومصرع الجمالي.. وبعد ذلك بأيام قليلة ظهر خليل إبراهيم في مقابلة مع قناة الجزيرة الفضائية. هكذا انسافت حتى الصحف في نقل الشائعات.

وفي أوائل شهر ديسمبر ٢٠٠٨ م وحلول عيد الأضحى المبارك انتشرت شائعة على أجهزة الموبايل بين منسوبي الأمم المتحدة بالسودان (يوناميد) مفادها أن الحكومة أبلغت اليوناميد بتحركات لقوات حركة العدل والمساواة في شمال دارفور، وبحسب

الرسالة فإن "يوناميد" قالت أن تحركات القوة غير معلومة الوجهة وربما تستهدف مدن الأبيض أو الفاشر أو الخرطوم.

أدت هذه الشائعة إلى ارتباك واسع وسط الناس في السودان عززتها حالة الاستعداد القصوى في القوات النظامية خلال تلك الفترة.

وفي نهايات الشهر نفسه انتشرت شائعات متعددة مقترنة بحالة الاستعدادات الأمنية والتدريبات الوقائية للشرطة والقوات المسلحة، مع خلو العاصمة من وزراء الحركة الشعبية وحركات دارفور مترافقة مع تسريبات بأسماء المطلوبين لمحكمة جرائم الحرب بلاهاي واحتمالات تأييد قضاة المحكمة ادعاءات مدعي المحكمة أو كامبو حول السودان وقيادته السياسية. ولعبت مواقع الدردشة والمدونات في الانترنت دوراً كبيراً في إطلاق هذه الشائعات. وهي جزء من الحرب النفسية السياسية.

#### خاتمة واستنتاجات:

نخلص من هذا السرد التاريخي لأثر الشائعات في تاريخ العالم والسودان على وجه الخصوص إلى خطورة المعلومات الكاذبة والمحرفة على السلام العالمي، لاسيما في ظروف الأزمات. والأخطر من ذلك هو تزوير التاريخ وقتل الحقائق، ذلك لأن الكشف عن الحقائق يتم عادة بعد فوات الأوان أو بعد أن تحقق الشائعة هدفها التدميري. وبالنظر لدور الشائعات في تاريخ السودان المعاصر فإن المراقب يلحظ النتائج المدمرة والكارثية لهذا النوع من المعلومات المزورة وسرعة سريانها في المجتمع السوداني.

في ضوء ذلك يمكن أن نخلص إلى النتائج الآتية:

١. إن الطبيعة الازدواجية لاستعمار السودان بين دولتي الحكم الثنائي (بريطانيا ومصر) وتناقض اتجاهات الحركة الوطنية السودانية بين الاستقلال والاتحاد مع مصر شجع الإنجليز على استخدام الشائعة السياسية لإرباك قادة الاستقلال بزعماء السيد اسماعيل الأزهري وظهر ذلك جلياً في أحداث مارس ١٩٥٤م وإشعال فتيل الحرب الأهلية في الجنوب ١٩٥٥م.

٢. إن أجواء عدم الثقة الناجم عن تصعيد الحرب الأهلية في الجنوب في عهد الحكم العسكري الأول كان السبب المباشر في انفصال الإخوة الجنوبيين في ولاية الخرطوم بشائعة مقتل كلمنت أمبورو (وزير الداخلية آنذاك) .
٣. إن أجواء الحكم العسكري وغياب الشفافية يؤدي إلى فقدان الثقة في وسائل الإعلام الحكومية كمصادر صحيحة للمعلومات مما يسهم في سرعة تولد وانتشار الشائعات في السودان علاوة على ظروف الأزمات السياسية والحروب الأهلية.
٤. لعبت الشائعات دوراً خطيراً ومدمراً للحياة السياسية في السودان المعاصر .
٥. إن سمات الشخصية السودانية المتسمة بالعفوية والبساطة وحسن النوايا علاوة على ضعف الحس الأمني والوعي السياسي ، ساعدت جميعها في تولد وانتشار الشائعات لاسيما في المجتمع الريفي في السودان.

الهوامش والمراجع:

- (١) د. محمد منير حجاب، الحرب النفسية، دار الفجر، القاهرة ٢٠٠٥م، ص ١٨٩.
- 2) Allport & Postman , The Psychology of Rumour U.S.A. 1<sup>st</sup> ed. N.J.P.16.
- انظر كذلك دكتور محمد شومان، الإعلام والأزمات، دار الكتب العلمية، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص ١٠١.
- (٣) د. محمد شومان، الإعلام والأزمات، المصدر السابق ، ص ١٠٢
- 4) Bryant Welge ,” International propaganda state”craft The Annuals of American Academy of Political and social sciences, Vol 398. NOV. 1981. P.171.
- (٥) المصدر: د. محمد شومان، الإعلام والأزمات، المصدر السابق ، ص ١٠٢.
- (٦) د. محمد عبد القادر حاتم، الرأي العام وتأثره بالإعلام والدعاية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٦م، ص ص ٤٩٧-٤٩٨.
- (٧) المصدر السابق، ص ٥٠٠.
- (٨) الحرب النفسية، سلسلة الثقافة الثورية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، المجلد ٢٩، بيروت بلا ، ص ٦.
- (٩) د. محمد منير حجاب، الحرب النفسية، مصدر سابق ص ص ١٩١-١٩٢.
- (١٠) المصدر السابق ص ١٩٣.
- (١١) أنظر محمد شومان ، مصدر سابق ، ص ١٠٥.
- (١٢) المصدر السابق.
- 13- Allport & Postman ,OP Cit P. P.19-21.
- (١٤) د. محمد عبد القادر حاتم ، الرأي العام وتأثره بالإعلام والدعاية، مصدر سابق، ص ٤٩٨.
- (١٥) د. محمد شومان، الإعلام والأزمات، مصدر سابق ، ص ١١٢، وانظر كذلك د. محمد عبد القادر حاتم، مصدر سابق، ص ٤٩٨.
- (١٦) د. محمد عبد القادر حاتم ، الرأي العام وتأثره بالإعلام والدعاية، مصدر سابق، ص ٥٠٢.
- (١٧) د. عبد الباسط السيد مرسى، “الحرب النفسية في العهد النبوي: دروس وعبر لواقعنا المعاصر”مجلة الثقافة والتنمية، العدد الثالث، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، أبريل ٢٠٠٥م، ص ٢٣٧.
- (١٨) المصدر السابق.

- ١٩) د. جلال الدين الشيخ زيادة "استخدام القصة الخبرية المختلفة في الحملة الإعلامية الموجهة للعراق عام ١٩٩٠-١٩٩٢" مجلة الحكمة العدد ٢٥، بغداد، أبريل ٢٠٠٢م، ص ١٢٦.
- ٢٠) المصدر السابق .
- ٢١) محمد سعيد محمد الحسن، عبد الناصر والسودان، ميدلايت، لندن ١٩٩٢م، ص ص ٤٥-٤٩.
- ٢٢) غراهام ف. توماس، السودان: موت حلم ، ترجمة مصطفى أبو العزائم جريدة آخر لحظة ٢٠٠٨/٩/١٠.
- ٢٣) محمد سعيد محمد الحسن، إشاعات هزت السودان، الرأي العام، ٢٤/٣/٢٠٠٧.
- ٢٤) د. عبد الله علي إبراهيم، لماذا اختار سلفاكير يوم مذبحة ١٩٥٥ عيداً للمحاربين في الجنوب، الرأي العام ٢٣/٢/٢٠٠٨.
- ٢٥) محمد سعيد محمد الحسن، ثلاث شائعات هزت السودان، الرأي العام ١٠/٣/٢٠٠٧.
- ٢٦) د. عبد الله علي إبراهيم، لماذا اختار سلفاكير يوم مذبحة ١٩٥٥ عيداً للمحاربين في الجنوب، مصدر سابق
- ٢٧) ريتشارد موارو، لماذا اختار سلفاكير يوم ١٨/٨/١٩٥٥ يوماً للشهداء، الخرطوم مونتر ، ترجمة محمد رشوان، بعنوان: رؤية جنوبية لأحداث توريت ١٩٥٥، جريدة الرأي العام ٢٠٠٨/٣/٢٠.
- ٢٨) محمد سعيد محمد الحسن، عبد الناصر والسودان، مصدر سابق ، ص ص ٤٥-٤٩
- ٢٩) محمد سعيد محمد الحسن، ثلاث شائعات هزت السودان، مصدر سابق، ص ١٠.
- ٣٠) قراءة في أحداث الأثنين والثلاثاء، تقرير، أجراس الحرية ١/٨/٢٠٠٨.
- ٣١) مجلة الخرطوم الجديدة، تقرير، عدد ٤٩ يونيو ٢٠٠٧م.
- ٣٢) للمزيد من التفاصيل انظر تقرير آدم مهدي. الشائعات تكاد تصنع القرار، الأحداث ٢٤/٨/٢٠٠٨، وكمال بخيت، العاصمة تنام فوق صفيح ساخن من الشائعات، الرأي العام ٢٠٠٨/٧/٢. وبهرام عبد المنعم وعادل عبد الرحيم، قصة رسالة: البلاد تنهشها الشائعات، الأحداث ١٥/١٢/٢٠٠٨، ص ٩.